

مفتاح سليمان

info@darak-egy.com



02 24832669-010 27251915



51 ب شارع النهضة – من امتداد رمسيس – القاهرة.



جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.



مفتاح سليمان

اسم المؤلف: أحمد بدران

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2021/14343

الترقيم الدولي: 978-977-6634-68-8

طبعة: 2021

أحمد بدران

مفتاح سليمان

رواية



إهداء

إلى روح أمي الخالدة في قلبٍ أنهكه فراقها.. رَحِمَكَ اللهُ.

التاريخ يعيد نفسه...

كارل ماركس

(جميع أسماء الشوارع والميادين والأضرحة التاريخية المذكورة في الرواية بأوصافها وتخطيطها الدقيق حقيقيَّة، فضلاً عن حقيقة ثقافة الحضارات القديمة والأحداث التاريخية، كما أن بعض طقوس وأيقونات المنظمات الثورية والسرية مستوحاة من الواقع).

كلما أمعنت النظر.. كان من الأسهل خداعك...

(1)

انتهى المطاف بقُرص الشمس إلى الأفق الغربي وقد شملها الهدوء والوجوم والأسى بعد أن ولى عنها زهو الفتوة وبريق الشباب، ومضى شعاعها الشاحب يلقي بأخر خيوطه شرقًا تاركًا ظلًا حزينًا امتدت خلف صخور مبعثرة على جانبي قضيب قطار معدني، لامع بزّاق تنعكس عليه بقوة تشي بحدائث صنّع مادته الفولاذية التي وجدها ذلك العصفور الشارد الصغير مادة شاذة مغايرة لما يحيط به من مساحة مترامية من الرمال الساكنة سكون القبور فأخذ يتبختر فوقه ينتقل من جانب للآخر مطمئنًا في جولة أخيرة قبل حلول الغروب السرمدي، لكن سرعان ما تبدّد اطمئنانه ولاح الذُّعر والخوف في تلفتات حذرة مترقبة مردها اهتزاز القضيب هزات عنيفة متصاعدة، تبخر معها اطمئنانه وطار محلّقًا يعلن انتهاء جولته اليومية عند هذا الحد خوفًا وهربًا من ذلك الوحش الأسطوري الذي بزغ في الأفق، يندفع منقّضًا يثير حوله عاصفة من الغبار ينفث أدخنه سوداء من قمته بكميات ضخمة تشي بكميات كبيرة من الفحم المحترق داخل آلاته.

كانت بداية عهد البلاد بالقاطرات البخارية على يد الخواجة الفرنسي (روبرت ستفينسون) الذي تم استدعاؤه من الحكومة البريطانية لصناعة أول خط سكة حديد في مصر لخدمة مصالحهم وأطماعهم في نقل ثروات البلاد، حتى أتمّ أول خط عام 1854م ثم تلاه سلسلة خطوط أهمها كان عام 1867م بين القاهرة وصعيد مصر، وكانت هذه هي إحدى تلك القاطرات

العجيبة على مرتاديهما الذين لم يعبأ المسافرون داخلها باهتزازاتها العنيفة بل مكثوا في استرخاء تام، حتى إن أحدهم بدا مستغرقاً في نوم عميق منذ بداية الطريق كمن لم ينم من قبل، ولم يوقظه سوى صفير القطار الذي يصم الأذان يعلن اقترابه من الصعيد؛ فشرع ذلك الرجل برأسه يتلفت يمينا ويسارا في بلاهة كمن استيقظ من الموت بغتة، يحاول استيعاب ما حوله لكن عقله كان ثقيلاً مشوشاً، كل شيء كان مريباً، الركاب معظمهم من الخواجات والأجانب، المصريون منهم يرتدون طرابيش حمراء، تحسّس رأسه فوجد هو نفسه يرتدي واحداً، تركزت عيناه على امرأة تجلس على الكرسي أمامه تبتسم له في إشفاق:

- يبدو أنك كنت متعباً للغاية يا مراد، لقد نمت طوال الطريق.

ظل صامتاً مقطباً حاجبيه محددًا في المرأة يتفحصها في بلاهة وكأنه يراها للمرة الأولى ثم انفرجت شفثاه المرتهجتان:

- مراد من؟! هذا ليس اسمي، من أنت؟! ومن جاء بي إلى هنا، وأين

فاتن وعزت؟!

فتحت المرأة فمها في بلاهة هي الأخرى ودنت بوجهها منه:

- من هؤلاء؟!، ماذا بك يا مراد، أنا نهاد زوجتك!

ابتلع لعابه يربط به حلقاً جافاً، وقد بدا عليه نظرة معذب يجاهد ليتذكر أي شيء، بلا جدوى، مسح جبينه براحتيه ثم واتته فكرة، فنهض يخرج حافظة نقوده من جيبه وفتحها في لهفة يطالع هويته الورقية ليصطدم بصورة باهتة بالأبيض والأسود وجوارها مكتوب «مراد صالح الهواري، مواليد 1885م»

أسقط في يده وندا جبينه وتصاعدت أنفاسه، هذه ليست صورته ولا اسمه ولا ميلاده، هذه ليست هويته، بل هذه ليست حياته.

شعر بدوّار وراودته رغبة في القبيء، فهض مترنحًا لنهاية عربة القطار تتابعه الأعين بين تساؤل وشفقة، والبعض يتحدث عن دوار القطار، بلغ المرحاض وهناك مأل على الحوض يستجدي رغبةً في التقيؤ دون أن تطيعه، غسل وجهه بالماء ثم انتصب فوقعت عينه على انعكاس صورته في المرآة، تراجع بغتةً حتى اصطدم بجدار المرحاض خلفه وكأنه رأى شبحًا، فقد طالعه وجهٌ ليس وجهه أيضًا، تحسس ملامحه في دھولٍ ثم أخرج مجددًا وريقة الهوية الشخصية التي وجدها في جيبه، نظر إليها لحظات كانت كافية ليتأكد من أن ذلك الوجه في المرآة هو نفس الوجه في صورة البطاقة الشخصية واللذان لا يَتَّانِ بأدني صلة لوجهه كما يعلمه.

مترنحًا تدور المشاهد من حوله عاد الرجل لمقعده بالقطار أمام تلك السيدة، بالكاد يحافظ على حطام وعي تبعثر على مسافة ميل، تنفرج شفتاه ليسأل فتحتشد داخل عقله الأسئلة دون أن تطاوعه نفسه في البوح بأيٍّ منها، ألقى نظرةً عبر النافذة، تنهد في ضياع وشروء، مسح وجهه براحتيه من جديد، ثم عاد للسيدة يسألها:

- قطار فحم عتيق، وملابس الركاب كما لو كنا في عصر البشوات، في أي عام نحن!؟

- اسم الله عليك، نحن عام 1905م.

هربت الدماء من وجنتيه، ارتجفت شفتاه ودار بعينيه فيما حوله غير مدرك للأمر معنى:

- كيف جئت إلى هنا، ومن مراد هذا!؟

نهضت، وجلست جواره في إشفاق:

- لا بأس، هوّن عليك، الحاجّة المبروكة حذرتني من بعض الآثار الجانبية بعد أن صنعت الحجاب لنا.

- من هي الحاجة المبروكة!؟، أرجوكِ ذكريني.

- حسناً يا مراد سوف أعينك على التذكر، أنا نهاده زوجتك منذ ثلاث سنوات، نعيش في الصعيد، ولم ننجب حتى الآن لوجود عيب لدي، زرنا العديد من الأطباء دون نتيجة، إلى أن أخبرنا أحدُ العارفين بأن هناك من أصابنا بعمَلِ سُفلي، ولدنا أولاد الحلال على حاجة مبروكة في مصر لفك السحر، وفعلاً ذهبنا إليها وقامت بعمل اللازم ونحن الآن عائدان لقرينتنا.

- وكيف قامت بفك ذلك السحر!؟

- لا يجب أن أروي لك ما حدث، فقط هي أخبرتني أنه من المحتمل أن تطراً لي بعض التغيرات البسيطة.

راود مراد شعور غريب، مزيج من تذُّر كل تلك التفاصيل مع يقين يعربد في رأسه بأنها ليست حياته ولا عالمه هو فقط يراها بأعين شخص آخر، بأعين ذلك الرجل الذي عاشها يوماً، حاول جاهداً تذُّر حياته الأصلية لكنها بدت له غائمةً وكأنه ينظر إليها عبر زجاج مصفر مليء بالخدوش، مع قوّة كاسحة تدفعه للتعايش مع تلك الأحداث القديمة، قوّة أجبرته على أن يهز رأسه متفهماً ما روته له (نهاده)، فوضع يده على كتفها قائلاً:

- ربنا يجعل على يديها الشفاء، ونجب إن شاء الله يا نهاده.

دفنت رأسها في صدره، ابتسمت ابتسامة حاملة وهمست:

- أنا متفائلة.

كان القطار يتباطأ صوبَ محطته الأخيرة، ينفث مزيداً من الأدخنة المتصاعدة شاركت غيوم السماء في خلق كآبةٍ أورثت (مراد) شعوراً مقبضاً وهو يسير مع زوجة لم يرها من قبل، ظلت تؤكّد أن حالة النسيان التي يعاني منها تعد آثاراً جانبية لعلاج سفلي غامض، تلك العلة كانت في صالحه مؤقتاً يتحجج بها حتى يتجلى له سر ما يحيط به.